مفاهيم وأنشطة محو الأمية في تراث الأمة الإسلامية

للدكتور / محمود قمبر
أستاذ ورئيس قسم أصول التربية
بجامعة قطر

□ محـــتويات الدراســـة □

- مفاهيـــم الأميـــة .
- الأميـة نقيصـة إنسـانية .
- محـــاربة الأميـــة .
- تثـــقيف الأمـــيين .
- البيـوت معاهـد تثقيفيـة .
- المسـاجد والثقافـة الدينيـة .
- نمـاذج لأمـيين مثقفـين .
- حدود النجاح في محو الأمية وتثقيف الجماهير الشعبية .
  - إيجـابيات ملموســة .
  - ســلبيات محســوسة .
- لا ثقافـة لأمـي في عـالم اليـوم .
- المراجـــع والتعـليقات الهامشـية .

● مفاهيـــم الأمـــية :

اختلفوا قديماً كما اختلفوا حديثاً في تحديد قاطع لمعنى « الأمي » . وقد أورد ابن عبد ربه تفسيرات مختلفة لكلمة أمي ، فقال :

« وأما الأمي فمجازه على ثلاثة وجوه : قولهم أمي ، منسوب إلى أمة رسول الله (ﷺ) - ويقال رجل أمي ، إذا كان من أم القرى - وأما قوله تعالى : ﴿ النبي الأمى ﴾ ، فإنما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب »[١] .

فأما التفسير الأول ، فهو تفسير له شيوعه ، نظراً لما عرف عن العرب الذين بعث فيهم الرسول (ﷺ) بأنهم أميون . قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ . فالأميون والعرب كأنها مرادفان يدل أحدهما على الآخر ويشهد له .

والمعنى الثالث توضيح وتأكيد لهذا الترادف ، فالعرب أميون ، لأنهم لا يقرأون ولا يكتبون ، والرسول واحد منهم ، وإن جاءهم بما يزكيهم ويعلمهم ويمحو أميتهم .

وقد أفاد الرسول (ﷺ) بما يدمغ أمية العرب ، فقال : « نحن أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب »[٢] . وقد شاع هذا المعنى الواصف للعرب بالأمية ، أي بعدم الخط ، أو الجهل بالقراءة والكتابة .

قال أبو بكر البيهقي م / ٤٥٨ هـ : « الرسول أمي ولد في قوم أميين ، ليس فيهم مهندس ولا عالم ولا منجم ولا متكلم »[٣] .

والعاملي يؤكد ذلك المعنى ويقول : « الأمي من لا يكتب ، منسوب إلى أمة العرب المشهورين بعدم الخط والكتابة . ووصف نبينا محمد (ﷺ) بالأمي لذلك »[٤] .

وأما المعنى الثاني ، والذي يعني بالأمي الرجل ينسب إلى أم القرى (مكة) ، فهو معنى خاص ومحدود ، وله قصوره الظاهر ، فالعربي كان أمياً سواء نسب إلى أم القرى أو غيرها .

ويعطى الشاطبي معنى رابعا للأمي ، فيقول : « الأمي منسوب إلى الأم ، وهو الباقي على أصل ولادة الأم لم يتعلم كتاباً ولا غيره ، فهو على أصل خلقته التي ولد عليها »[٥] .

وسواء نسب الأمي إلى أمة العرب أو إلى الأم ، فإن حالته واحدة تتمثل في عجزه عن

القراءة والكتابة . يقول الشاطبي : « كان الجميع عرباً وأمة أمية ... والشريعة أمية لأمة أمية » أى تجرى الشريعة على حسب ما كان معهوداً عند العرب في لغتها[٦] ، والتي كانوا يأخذونها ويتكلمونها بسليقة فطرية ، كما يأخذ الأطفال لغتهم عن الأم اتصالاً وتقليداً ومشافهةً . والعربية كانت جارية على ألسنة الناس بهذه الفطرية ، لم تؤلف لها معاجم ، ولم تُبْنَ لها قواعد ، ولم تنظم لها أصول ، ولم يتخصص فيها معلمون .

وهذا المفهوم للأمية لا يختلف عن المفهوم الحديث . تعرف القواميس المتخصصة الأمي تعريفاً عاماً بأنه « الشخص الذي لا يجيد القراءة والكتابة بأية لغة ، وقد تجاوز سن التعليم الأولى »[٧] .

وهذا النوع من الأمية يعرف بالأمية الأبجدية . ومحو هذه الأمية يعني تمكين الإنسان من آليات القراءة والكتابة . وتدل كلمة المحو Alphabetisation على فك رموز الألفبية (أ ، ب ، ت ...) صوتياً وكتابياً . وهذا هو المعنى الذي حدده الجاحظ قديماً ، فقال عن الإنسان الأمي بأنه الذي «لا يخط ولا يقرأ الخط»[٨] . وتعبير الجاحظ بقوله : « لا يخط ولا يعرف الخط » يعني أن الأمي لا يجيد الكتابة والقراءة إجادة ترتفع إلى المستوى الوظيفي بلغتنا المعاصرة .

وليس مجرد معرفة أشكال الخط كتابة أو تهجية يعتبر تعلماً يرفع صفة الأمية ، فالرسول عليه السلام « رزق – كما يقول النويري – علم الخط ومنع الكتابة والقراءة » ، ومن ثم فقد عُدَّ (ﷺ) أمياً بين قومه من الأميين[٩] .

ولسنا نبالغ كما بالغ البعض الذين زعموا أن رسول الله (ﷺ) كان كاتباً ، ولكنه لم يشأ أن يكتب بخطه . وينقل عبد الحي الكتاني عن هذا البعض قوله : « ما مات النبي (ﷺ) حتى قرأ وكتب » . كما يشير إلى موافقة الذهبي لهذا الرأي ، ويأخذ منه قوله : « ما المانع من جواز تعلمه (ص) يسير الكتابة بعد أن كان أمياً لا يدري ما الكتابة . فلعله لكثرة ما أملي على كتاب الوحي والسنن والكتب إلى الملوك عرف من الخط وفهمه وكتب الكلمة والكلمتين ، وكما كتب اسمه يوم الحديبية : محمد بن عبد الله »[١٠] .

ولكن الذهبي وإن أيد هذا الرأي ، فإنه لا يعد النبي قارئاً كاتباً ، بالشكل الذي يخرجه من صفوف الأميين . فالمحو الذي يزيل الأمية عنده هو « المحو الوظيفي » ، قال : « ما كل

من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أمياً ، لأنه لا يسمى كاتباً . وجماعة من الملوك قد أدمنوا في الكتابة العلامة وهم أميون »[١١] .

فالكتابة في التراث هي الوظيفية بلغتنا ، والتي تتحدد إجرائيا في عصرنا على النحو التالي :

- القدرة على قراءة فقرة من صحيفة يومية بفهم وطلاقة .
- القدرة على التعبير الكتابي عن فكرة أو أكثر تعبيراً واضحاً .
- القدرة على كتابة قطعة إملاء كتابة صحيحة .
- القدرة على قراءة الأعداد وكتابتها وإجراء العمليات الحسابية الأساسية التي تتطلب حياة الفرد[١٢] .

ولندرة هذا الاستعمال الوظيفي عند العرب في جاهليتهم وفي صدر الإسلام ، سموا أميين ، وتواترت شهادات المؤرخين على أمية العرب بهذا المفهوم . فالطبري يقرر بأن أول من كتب من العرب حرب بن أمية ، وأن الإسلام جاء ولم يكن في العرب من يكتب غير سبعة عشر رجل ، وهذا عدد رمزي يضيع أثره بين جماهير عريضة لا تعرف القراءة والكتابة ، حتى إن الكتاب الذين كتبوا بين يدي الرسول (ﷺ) لم يتجاوزا الخمسة أو الستة[١٣] .

● الأمية نقيصة إنسانية :

ما الذي كان يبرر للعرب قبولهم لهذه الأمية التي شاعت لدرجة أن أصبحت ظاهرة طبيعية أو اجتماعية لاصقة بحياتهم وملازمة لهم ؟ .

لقد عرفوا بالفصاحة ، والفصاحة لسان . وعدوا من أمم الحكمة ، ولكن الحكمة نزلت على ألسنتهم ، ولم تجر بها أقلامهم . ولم يكونوا أصحاب دواوين ، ولا أرباب صناعة واشتهروا بالشجاعة ، ومن ثم فقد فضلوا السيف على القلم ، وعابوا على الفُرْس أن يكونوا .

جهابذة وكتاباً وليسوا بفرسان الكريهة والطعان[١٤] .

وكانت الفصاحة والشجاعة هما معا عنوان الرجولة عند الانسان ، وهذا ما عبر عنه الشاعر العربي القديم ، فقال :

لســـــان الفــتى نصــف ونصــف فــؤاده   فلم يبــق إلا صـــورة اللحم والـــــدم

ومع ذلك فالأمية كان يُحَسُّ بها كنقيصة تعيب الإنسان . وإذا كان العرب بحكم بداوتهم مع التحرر من كل التزام حرفي أو مهني : يقبحون الصناعات ، ويحتقرون الأعمال ، ويعدون « كل صانع قيْنا » ، الا أنهم لم يروا في الكتابة صنعة مذمومة ، وحرروا الكاتب من قيود القين أو العبودية ، وجعلوا القلم المساوي للسيف لساناً ثانياً ، وقالوا : « القلم أحد اللسانين »[١٥] ... بل ذهبوا في تقديرهم للكتابة إلى أبعد من ذلك ، ولم يتحرجوا أن يفضلوا الكاتب على الأمي ، وينزلوه منزلة رفيعة[١٦] . وكانوا يخلعون لقب « الكامل » على كل من : « يكتب ويحسن العوم والرمي » . وذكر ابن سعد في طبقاته من هؤلاء الكملة في الجاهلية : رافع ابن مالك ، وسعد بن عبادة[١٧] .

هذا الإحساس بالنقص عند الأمي يزداد مع الإسلام الذي قدر العلم وأعز أهله ، وجعله شعيرة وفريضة ، ومن ثم أصبحت الأمية آفة إنسانية ونقيصة بشرية ، لا تليق بإنسان مسلم .

سماها نصر بن سيار « زمانة خفية »[١٨] . وذكر القلقشندي عبارات مأثورة تفضح هذه الزمانة الخفية . « قال سعيد بن العاص : من لم يكتب فيمينه يسرى . وقال معن بن زائدة : إذا لم تكتب اليد فهي رجل . وبالغ مكحول فقال : لا دية ليد لا تكتب . واعتبروا الكتابة ربًّا لكل صنعة »[١٩] .

ولما تبجح أبو العلاء المنقري بأميته مدعياً أنه كالرسول « كان أميا » ، وبَّخه الخليفة المأمون ورماه بالجهل قائلاً : « أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي (ﷺ) فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نقيصة ! »[٢٠] .

وهذا المعنى أكده ابن خلدون بقوله : « كان (ﷺ) أميا ، وكان ذلك كمالاً في حقه ... وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن ، إذ هو (ﷺ) منقطع إلى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها » ، ويرفع من قيمة الكتابة وحسن الخط كصنعة حضارية ترقى برقى الحضارة وتنحط بانحطاطها[٢١] .

● محـــاربة الأميـــــة :

عندما أمن الرسول دعوته ، واستقر بالمدينة ، وقد تكون المجتمع الإسلامي الناشئ على أسس حضارية وقيم ثقافية في إطار هذا الدين الجديد ، فإنه سرعان ما نهض (ﷺ) بمحاربة الأمية وتزكية الأميين . واستقر نصره الإسلامي الأول في غزوة بدر ، وربط فداء كل أسير كاتب بتعليم عشرة من غلمان المسلمين من أهل المدينة تعليماً وظيفياً يكسبهم مهارات القراءة والكتابة ، حتى إن زيد بن ثابت كان أحد هؤلاء الغلمان الذين تعلموا ، وأصبح كاتباً لرسول الله مما يدل على تمكنه من القراءة والكتابة .[٢٢] وكانت هذه بداية طيبة في حركة تثقيفية متصلة لجماهير المسلمين صغاراً وكباراً .

وقام الكتّاب الإسلامي في عصر مبكر وعلى نطاق واسع بتعليم الأطفال كتاب الله والعقيدة ومبادئ القراءة والكتابة وشيئاً من النحو والحساب وأيام العرب وآدابهم . وكانت له نماذج مؤسسية سابقة عرفها الكتاب اليهودي في يثرب والكتاب الفارسي الذي تردد إليه بعض المسلمين في طفولتهم بالجاهلية . لقد أسلم على بن أبي طالب في الرابعة عشرة ، وكانت له ذؤابه يختلف إلى الكتاب[٢٣] .

وقد جاء في كتاب الديات من صحيح البخاري أن أم سلمة بعثت إلى معلم الكتاب « أن أبعث إليَّ غلماناً » (لمساعدتها في نفش الصوف) . كما أسند البخاري إلى ابن عمر أنه كان يسلم على الصبيان في المكتب[٢٤] ، مما يدل بكل تأكيد على وجود الكتاب كمؤسسة تعليمية للصغار في هذا العهد الإسلامي الأول ... وانتشر الكتاب مع الفتح الإسلامي ، وأصبح ظاهرة اجتماعية معروفة ومألوفة . يقول المختار الكتبي : « لما كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم وأهل البوادي وكثر الولدان ، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم »[٢٥] .

وهكذا وجد في كل تجمع بشري صغر أو كبر مكتب أو أكثر لتعليم أطفال المسلمين دينهم ولغتهم وقيمهم . يقول ابن حزم :

« عند موت الرسول أسلم كل من بالجزيرة ، وبنوا المساجد ليس فيها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا قد قرئ فيها القرآن في الصلوات ، وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب ... ثم مات أبو بكر ، ففتحت بلاد الفرس طولاً وعرضاً ، وفتحت الشام كلها ،

والجزيرة ومصر كلها . ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت فيه المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن ، وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً »[٢٦] .

ومما يؤيد وجود الكتاب في المغرب الإسلامي ما رواه غياث بن أبي شبيب ، قال : « كان سفيان بن وهب م / ٨٢ هـ ، صاحب رسول الله يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان في الكتاب فيسلم علينا »[٢٧] .

كما وجدت كتاتيب مسيحية تنافس أو تزامل الكتاتيب الإسلامية ، ولا يقتصر تعليمها على المسيحيين الذين قامت لأجلهم ، بل التحق بها بعض أطفال المسلمين قبل نهاية القرن الهجري الأول . وتذكر إحدى الروايات أن إياس الذكي ، وهو إياس بن معاوية بن مرة م / ١٢٢ هـ ، التحق في صغره بكتاب مسيحي في بلاد الشام ، ولنباهته كان يجادل معلمه المسيحي .[٢٨] وانتشرت في القرون التالية ببلاد المغرب الإسلامي عادة التعلم في الكتاتيب المسيحية لأطفال المسلمين الراغبين في معرفة الحساب ، مما دعا العبدري إلى التنديد بهذه الظاهرة .[٢٩] والواقع أن الكتاتيب إسلامية ومسيحية كانت في معظم الأوقات التي خلت من الفتن الطائفية مفتوحة لكل الصغار في المجتمعات الإسلامية سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، وقد أسهمت في سد منابع الأمية وتخريج أجيال متعلمة ، قارئة كاتبة . وكانت هذه المهمة ضمن مسئوليات الولاة والحكام والعلماء والآباء .

يقول الصحابي عبد الله بن مسعود : « لابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ، ولولاً ذلك لكان الناس ، أميين »[٣٠] .

والكتاب في معظم الأحوال كان مؤسسة تعليمية خاصة بالصبيان . ولهذا سمى أحياناً بمكتب الصبيان ، ولقب معلمه بمعلم الصبيان ، ومع ذلك فقد وجدت حالات لتعليم مختلط بالكتاتيب في البلاد الفارسية . فالنظامي الشاعر الشهير يشير إلى مثل هذه الكتاتيب ، ويصور لنا تردد ليلى والمجنون للتعلم معا في أحدها .[٣١] كما حكى الجاحظ قصة دالة على هذا الاختلاط فقال : « مر الوليد بن عبد الملك . بمعلم صبيان فرأى جارية فقال : ويلك مالهذه الجارية ؟ فقال أعلمها القرآن . قال : فليكن الذي يعلمها أصغر منها »[٣٢] والأصبهاني يذكر كذلك أن خليل بن عمرو الملقب بالمعلم « كان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد »[٣٣] .

وعموماً فقد كره معظم الفقهاء هذا الاختلاط في التعليم خشية الفساد .[٣٤] ، علماً بأن المتعلمات من الإناث كن غالباً من الجواري ، أما الحرائر فقد كن يتعلمن على أيدي آبائهن أو أقربائهن أو على أيدي مؤدبين خصوصيين تستقدمهم أسرهن إلى البيوت نظير أجر معلوم .

كما قامت كتاتيب متخصصة في تعليم البنات . فهذا هو ابن بسام المحتسب يقول بنص عبارته : « ومعلمات البنات يمنعن بالغات البنات (من) الفواحش ومن القصائد والأشعار والكلام الذي لا خير فيه. ويمنعن من زينتهن وبهرجتهن يوم عيدهن في البطالة. كذلك الصبيان يوم الجمعة ليخرجوا إلى صلاتهم ، والبنات يوم الأحد »[٣٥] .

وابن بطوطة في زيارته لمدينة هنور الصغيرة الواقعة على ساحل مليبار بغرب الهند ، يصف أوضاع التعليم المكتبي بها ويقول : « ... ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات ، وثلاثة وعشرين مكتباً لتعليم الأولاد ، ولم أر ذلك في سواها »[٣٦] ولست أدري حقيقة المقصود بعبارته الأخيرة « ولم أر ذلك في سواها » .. هل يقصد تفرد مدينة هنور بهذه الظاهرة الخاصة بتعليم منفصل للبنات ، أم يقصد كثرة عدد مكاتب البنات (١٣ مكتباً) بهذه المدينة الصغيرة ؟ ! .

والكتاب وإن خصص في الأصل لتعليم الصغار ، إلا إنه لم يقفل أبوابه أمام الكبار الراغبين في التعلم ، خصوصاً إذا كان الكبار من الشباب ، فالكتاب مدرسة لا صفية متعددة المستويات العمرية إن لم نقل الثقافية .

ومن غرائب الحوادث ماقصه البلوي عن عمر بن الخطاب وقد لقى أعرابياً فقال له: هل تحسن أن تقرأ شيئاً من القرآن ؟ قال نعم ، قال له : فاقرأ أم القرآن . فقال : والله ما أحسن البنات فكيف الأم . قال فضربه ثم أسلمه إلى الكتاب فمكث فيه حيناً فهرب ثم أنشد يقول :[٣٧] .

أتيت مهاجرين فعلموني ... ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله في رق صحيح ... وآيات القرآن مفصلات
وخطوا لي أباجاد وقالوا ... تعلم سعفصا وقريشيات
وما أنا والكتابة والتهجي ... وما خط البنين من البنات

وقد وجدت مدارس خاصة بتعليم كبار السن ، يحكي ابن بطوطة عنها ، فيقول : « ومن

أرباض دمشق ربض الصالحية . وهي مدينة عظيمة ... بها مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر ، موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن من الشيوخ والكهول ، وتجرى لهم ولمن يعلمهن كفايتهم من المآكل والملابس . وبداخل البلد أيضاً مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا »[٣٨] .

وسواء وجدت للكبار مدارس خاصة بهم أو مكاتب شاركوا الصغار فيها ، فإن هؤلاء الكبار لم يهملوا في أمر تعليمهم ، وبالذات في مجال تثقيفهم أو تفقيههم في أمور الدين . وحفظ القرآن كان في مركز هذا التعليم أو التثقيف ، وكان هذا الحفظ يتطلب في معظم الأحوال معرفة القراءة والكتابة .

وكان نجم الدين محمد الطبندي محتسب القاهرة صاحب مبادرة ثقافية حين قرر أن يوزع في سنة ٧٩٠ هـ فقراء الفقهاء على الباعة بسائر الأسواق لتعليمهم القرآن وما يلزم في الصلاة وقدر لكل معلم على كل حانوت فلسين في كل يوم .[٣٩]

هذا الحماس الذي نجده عند بعض المسئولين لتعليم الكبار يقابله حماس مماثل عند بعض الأفراد مدفوعين بقيم دينية للتعلم ، ولم يمنعهم كبر السن أن يبدأو التعلم وأن يستمروا فيه ، فهذا هو ابن ينال م / ٣٧٦ هـ « سمع - كما قال الذهبي - وتعلم الخط وهو كبير ، ورزقه الله من المعرفة والفهم شيئاً كثيراً »[٤٠] .

ومثل هؤلاء الأفراد كانوا يتحلقون بمجالس شيوخ لهم من الصبر والدربة والإقبال على التعليم ، ما يشدهم إليهم ويثمر في تعليمهم ... من هؤلاء الشيوخ ، أحمد الحرثي م / ١١٧٩ هـ . قال عنه أبو عبد الله الطالب : « كان صبوراً على تعليم العلم للتلاميذ ، يبيت يذاكرهم فيما قرأوا مع شدة ابتلائه بالمرض . وانتفع الطلبة بعلمه ، رفيقاً بالجهال ، يربيهم بصغار العلم قبل كباره ، وفتح الله تعالى لهم من بركته . فلقد رأيت شيخاً كبير السن أشيب الرأس قرأ عليه الرسالة ... حتى ختمها وعرفها لرفقه بالتلاميذ والجهال »[٤١] .

● تثقيف الأميين :

كانت هناك حركة أخرى موازية لحركة محو الأمية ، لا تتمثل في تعليم الكبار أساسيات القراءة والكتابة ومبادئ الدين ، وإنما يتمثل في إكسابهم قدراً من الثقافة العامة ، وإن كانت دينية في طابعها ، وبأسلوب غير تعليمي لا يقوم على استخدام مهارات القراءة والكتابة ، وإنما

على استخدام الخطابة والمشافهة والشروح اللفظية . والقصد من ذلك محو آفة « العامية » وهي أسوأ من الأمية .

والعامية هي الجهالة اللاصقة بالعامي . والعامي من حرم الثقافة أو ليس له استعداد للتثقيف[٤٢] ، أو هو الذي لا علم عنده بلغة ابن خلدون[٤٣] ، فهو جاهل والجاهل مضاد للعالم ، والفروق بينهما كثيرة متعددة المستويات . « وأقل درجة العالم - كما يقول الغزالي - أن يتميز عن العامي الغمر »[٤٤] والعامي الغمر هو عديم أو قليل المعرفة بحيث لا يميز بين الأشياء خبيثها وطيبها ، أو « لا يعرف الممتنع من الممكن »[٤٥] ، وقد يجهل أنه يجهل وهذا هو الجهل المركب بلغة جالينوس ، والذي يجعله والبهيمة على حد سواء .

ولهذا حاربوا الجهالة أو العامية ، ونددوا بها وقبحوها ونفروا منها ، ودعوا الكبار إلى إزالة وصمة الجهل مهما تقدم بهم العمر ، أو ضعف دورهم في الحياة . يقول الماوردي :

« وربما امتنع الإنسان من طلب العلم لكبر سنه ، واستحيائه من تقصيره في صغره ، أن يتعلم في كبره ، فرضى بالجهل أن يكون موسوماً به ، وآثره على العلم ، أن يصير مبتدئاً به . وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل ، لأن العلم إذا كان فضيلة ، فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى . والابتداء بالفضيلة فضيلة . ولأن يكون شيخاً متعلماً أولى من أن يكون شيخاً جاهلاً ... » ويورد حكايات تحث على طلب العلم حتى في الكبر ، فليس للعلم حد عمري ينتهي عنده ، ويقول :

« حسبك نقصاً في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل أفضل منه » لأن الصغير أمامه العمر وفرص التعليم متاحة وكثيرة . أما الشيخ فقد ولى معظم عمره ، وقلت فرص تعلمه إن لم يغتنمها « فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح »[٤٦] .

إذا لم يكن مر السنين مترجما ... عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً
وما تنفع الأعوام حين تعدها ... ولم تستفد فيهن علماً ولا فضلاً
أرى الدهر من سوء التصرف مائلاً ... إلى كل ذي جهل كأن به جهلاً

وللتنديد بالجهل والتنفير منه جعلوه في أعلى درجات الرذائل ، إنه يمسح عقل الكبير ويحوله إلى طفل بهيمي ، ولهذا قالوا الجاهل « وإن توفرت عليه الأيام فكأنه ابن يومه وتلاد ساعته »[٤٧]

قد يحتمل المجتمع الإسلامي وجود الأمي ، ولكنه لا يحتمل وجود العامي ، الذي يرضى بالجهل ويركن إليه ، ولا يسعى للعلم ويستنير به ، ومن ثم وجب فضح هذا العامي الجاهل لأنه مسترذل عند الله والناس .[٤٨] والمسترذل إنسان ساقط القيمة ، فاقد الكرامة ، ولا يستحق إلا أن يشهر به أو يهان . قال في ذلك أبو هلال العسكري :

« والفضيحة بالجهل عظيمة ، والغبن به كثير لو عرفه الجاهل . ولا يرضى بالجهل إلا من هانت عليه نفسه ، فلا يبالي أن يهجى ويستخف به ويسخر منه ، وأدنى حقه منه ذلك . ومن أكرمه إلا عند ضرورة فقد وضع الإكرام في غير موضعه » .[٤٩]

ولهذا سارع كثيرون من المسلمين ممن لهم حس وكرامة إلى التثقيف ، قارئين وأميين . وكان يتم التثقيف في مؤسسات مختلفة على رأسها البيوت والمساجد .

● البيوت معاهد تثقيفية :

ألزم الإسلام كل مسئول في بيته أن يعلم نساءه وصغاره وعبيده ، ومن ثم تحولت البيوت إلى معاهد تثقيفية تقوم بمهمة أولية وهي التفقيه في الدين . وكان العلماء أعرف الناس بهذه المسئولية وأحرصهم على الوفاء بها . كانوا يقومون بأنفسهم بتعليم زوجاتهم وبناتهم وربما بنات إخوتهم وأقربائهم ، منهم : سعيد بن المسيب ، والإمام مالك ، والقاضي الأمير أسد ابن الفرات ، والقاضي عيس بن مسكين ، والإمام سحنون ، وغيرهم كثيرون .[٥٠]

وقد تتسع دائرة تعليمهم لأبنائهم الذكور ، وتستقل الأسرة في هذه الحالة بتعليم كل أفرادها الصغار ، مستغنية عن إرسالهم إلى مؤسسات تعليمية خارجية ، وأسرة ابن حزم من الأسر الشاهدة على صدق هذه الظاهرة ، فقد ظل يتعلم في بيته ، وعلى أيدي نساء ، حتى سن السادسة عشرة .[٥١]

كما أكثر المحبي في تراجمه لعلماء القرن الحادي عشر من ذكر عبارات دالة مثل : رباه والده – قرأ على والده – تفقه بوالده – لا شيخ له إلا والده – أخذ من والده ...[٥٢]

ولم يكن التثقيف بعامة يعتمد بالضرورة على القراءة والكتابة ، وبالذات في صدر الإسلام ، أو في أسر العامة من تجار وحرفيين وفعلة . يقول المختار الكتبي : « الصحابة كانوا قبل ولاية عمر إنما يقرئ الرجل ابنته وأخاه الصغير ، ويأخذ الكبير عن الكبير مفاهمه لسيلان

أذهانهم [٥٣] .

واستمرت هذه العادة برغم خروج الصغار إلى المكاتب والمساجد والمدارس للتعلم على أيدى شيوخ متخصصين ، وبرغم استقدام مؤدبين خصوصيين إلى البيوت . فالآباء كان لهم دور أساسي في التربيـة والتثقيف ، ولم يعطلوا وظيفتهم هـذه أو يستقيلوا منهـا بحجـة وجـود المعلمين المتخصصين ... كانوا يستشعرون مسئوليتهم أمام الله ويعلمون أنهم محاسبون إن قصروا في هـذه المسئولية . أما عن مدى نجاحهم وفاعليتهم في هذه الوظيفة التربوية والتثقيفية ، فتلك مسألـة أخرى .

● المســـاجد والثقافـــة الدينيـــة :

قامت المساجد بدور رئيسي في مجال التثقيف وبالذات في جانبه الديني ، فهي بيوت مفتوحة لكل مسلم ، وحلقات العلم متنوعة فيها ومستمرة طوال النهار وساعات من الليل ، بحيث يمكن للعاملين وللمتفرغين أن يحضروا للتعلم في أي وقت وأن يختاروا الحلقة العلمية التي يرغبون في تعلم مادتها .

عندما دخل المقدسي مسجد عمرو بالفسطاط فيما بين العشاءين ، دهش لكثرة ، ما رآه من حلق العلم ، إذ وجد مائة وعشرة من المجالس العلمية ، ويؤكد انتشار هذه الظاهرة في كل مساجد مصر . [٥٤] .

وكان العلماء حريصين على نشر العلم لكل سائل ومسترشد ، ولكل طالب منتظم ، ولكل مثقف مستزيد ، ولكل متعلم مبتدئ ، ولكل زائر عرضي . بل واحتفوا بالجهال وبالعامة يتألفونهم ويرحبون بهم ويرغبونهم في العلم ويتبسطون معهم ، وقد حق عليهم كما يقول السبكي « إرشاد المتعلمين ، وإفتاء المستفتين ، ونصح الطالبين ، وإظهار العلم للسائلين » [٥٥] وكان من توصيات العبدري لكل شيخ يعلم : « توصيل العلم للعامة الذين يعملون في الحرف أولاً ، ثم يعطى دروسه للفقهاء المتفرغين ثانياً .. ويعلم أهله وعبده وأمته (ثالثاً) [٥٦] بل طالبه كذلك « بفتح بيته لكل السائلين والمستفيدين ، واختيار موضع مناسب من البيت ، ويكون الإذن مشهوراً معلوماً والوقت معروفا » [٥٧] .

وفي الواقع كانت هذه سنة كثير من العلماء المحبين للعلم والحضارة والمخلصين لنشر العلم

وتثقيف الناس . ولقد أشاد المقدسي بعادة متبعة في بعض الأقاليم الفارسية حيث كان « يجلس العلماء (من بعد صلاة العصر من كل يوم) للعوام إلى المغرب ، وكذلك بعد الغذاة إلى ضحى ، وأيام الجمع يجتمعون في غير موضع »[٥٨] وما حدث في أقاليم فارس كان يحدث بالمثل في أقاليم إسلامية أخرى مشرقية ومغربية . وكانت كبرى المساجد تغص أحياناً بعشرات الآلاف الراغبين في سماع العلم وبالذات الحديث . وكان بعضهم يبكر في الأسحار ليأخذ مكانه أول الناس ، وأحياناً كانت تضيق المساجد على سعتها بالمستمعين ، فتمتلئ الشوارع بآلاف أخرى من الناس يقوم بينهم المستملون ، كل ينقل عن زميله ما ينطق به الشيخ ، حتى يسمعوا الجماهير .[٥٩]

في هذا الجو الثقافي العام ظهرت طائفة يطلق عليها « الأميون المثقفون » استطاعوا أن يحصلوا قدراً كبيراً من الثقافة دون أن يتعلموا فنيات أو تقنيات القراءة والكتابة ، فالمشافهة والملاقحة ، والمناقشة ، والمذاكرة ، والمراجعة ، أدت كلها إلى بروز هذه الظاهرة الثقافية .[٦٠]

● نماذج لأميين مثقفين :

- الحسن بن علي أبو الجوائز م / ٣١٨ هـ . كان ، كما يقول الخطيب البغدادي « ليس يحسن أن يقرأ ولا يكتب ، وقرأ عليه بعضهم » .[٦١]
- أبو عبد الله محمد بن قضاعة الصفواني ، من علماء الشيعة . قال عنه ابن النديم : « كان أمياً لقيته في سنة ٣٤٦ هـ ، وكان رجلاً طوالاً معرقاً حسن الملبوس » ومع هذا فقد ألف كتباً منها كتاب « المتعة وتحليلها » . وقد شكك بعضهم في أميته .[٦٢]
- محمد القبري المؤدب م / ٣٦٢ هـ ، سمع الناس منه كثيراً ، وكان ضعيف الخط .
- أحمد بن خالد بن يبقى الجذامي م / ٣٧٨ هـ من قرطبة ، أدخل إلى الأندلس كتباً غريبة تفرد بروايتها فسمعها الناس منه قديماً وحديثاً . ولم يكن له فهم ، ولا كان يقيم الهجاء إذا كتب[٦٣] .
- أبو الحسن الجوبري م / ٤١٥ هـ من دمشق . « كان أبوه محدثاً فأسمعه الكثير من علي ابن أبي العقب وطائفة ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب » .
- حماد بن مسلم بن ددوه الدباس م / ٥٢٥ هـ ببغداد . « كان أمياً لا يكتب ، (ومع ذلك)

أملى في الآداب والأعمال والعلوم المتعلقة بالمعرفة وتصحيح المعاملات شيئاً فشيئاً » .

- أبو بكر عبد الله بن التبان م / ٥٤٤ هـ . « سمع من كثيرين ، وتفقه على ابن عقيل ، وناظر وأفتى ودرس ، وكان أمياً لا يكتب ، وأخذ عنه علماء » .[٦٤]
- ذو النون بن عمر ، المعروف بابن الأسعدي ، من علماء القرن السابع . « كان - كما يقول المكناسي - شيخاً من العامة ، وله سماع صحيح ، ورغب الناس في الأخذ عنه لغرابة اسمه » .[٦٥] .
- أبو جعفر الزيات م / ٧٦٥ هـ . « ناطق بالحكمة على الأمية » . وهو غير ابن الزيات المتوفى ٣٩٠ هـ والذي « كان ضعيف الخط ربما أخل بالهجاء » .[٦٦]
- علي البرلسي الخواص م/ ٩٣٩ هـ . بمصر . أحد العارفين بالله تعالى ، وأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراوي . « وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ومع ذلك كان يتكلم على الكتاب والسنة وأحوال القوم ومقاماتهم بكلام نفيس عال . ويتكلم على خواطر الناس ويكاشفهم . وكان يبيع الجميز .. وله طب غريب يداوي به ذوى العاهات والأمراض المزمنة التي عجز عنها الأطباء . وكان يذعن لكلامه جماعة من أجلاء العلماء في مصر » .[٦٧]
- عمر القصيبي م / ٩٥١ هـ بدمشق . كان في بداءته إسكافاً يصنع النعال الحمر ثم تصوف ، « وكان أمياً لكنه ببركة صدقه فتح الله عليه في الكلام على طريق القوم والتكلم على الخواطر التي يشكوها إلي الفقراء » . وكان العلماء يعجبون بكلامه وشدة فهمه وقوته .[٦٨]
- حمزة الترجمان م / ٩٧٢ هـ . كان يترجم للقضاة بدمشق ، وترقى إلى أنظار المدارس حتى نظر الأموي . وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب .[٦٩]
- عبد الله بن إبراهيم بن الشرايحي م / ٨١٩ هـ بدمشق . « نشأ أمياً لا يقرأ ولا يكتب . كان إعتماده على حفظه ، ويستعين بمن يقرأ له . وهو بهذه المثابة ، أعجوبة زمانه في المحاضرة اللطيفة » .[٧٠]

ويعلق على هذا النص أحمد رافع الطهطاوي ، قائلاً : « نراه نشأ عامياً لا يكتب ولا يقرأ كالمسند الشيخ يوسف الفولي الذي يقول عنه ابن العماد كان أمياً لا يكتب مع أنه من مشايخ الذهبي ، وكالمسند إسماعيل بن أبي عبد الله العسقلاني ... »

ولأمثالهم كثرة بين الرواة على اختلاف القرون ، بل غالبهم بمجرد تعلمهم حروف التهجي في الكتاتيب ينصرفون إلى الرواية وإلى ملازمة مجالس السماع من صغرهم قبل تحصيل مبادئ العلوم الضرورية فيبقون من أبعد خلق الله عن النظر والتبصر » .[٧١]

ومما يؤيد ذلك ما ذكره جابر الوادي آشي في ترجمته لبعض شيوخه ممن يوصفون بالأمية أو بقلة العلم .

- فابن الشحنة لا يحسن الخط . وأكثر من ذلك أنه « كان عامياً مغفلاً » .
- والوسطي « قليل العلم » .
- والخضر بن عبد الرحمن الأزدي « كان خالياً من العلم » .
- والسبتي لم يكن عنده شئ ، وإنما « أخذ عليه على جهة التبرك » .[٧٢]

وبرغم كل ما قيل في هؤلاء الشيوخ من قلة العلم أو الجهل بالقراءة والكتابة ، فإنهم كانوا أساتذة لعلماء أجلاء ، وكانوا مقصودين لشئ عندهم يفيدون به الآخذين منهم ... كما أن السماع الذي اتصف به أمثال هؤلاء الشيوخ لم يكن بغير فائدة . لقد كانت له صفة إيجابية في تحصيل العلم ، وبالذات في الحديث . وكان يعتبر « أرفع الطرق في تحمل الحديث . وهو عند المالكية أعلى رتبة وأقوى من القراءة على المحدث » .[٧٣] .

وكان طلبة الحديث يبكرون بسماعه ، ومعظمهم يكتفون بالسماع كأسلوب في تحصيل الحديث وروايته . وقلة منهم كانوا يهتمون مع الرواية بالدراية ، ومن ثم كانوا لا يقنعون بمجرد السماع .[٧٤] .

● حدود النجاح في محو الأمية وتثقيف الجماهير الشعبية :

إن وجود ظاهرة « الأميين المثقفين » لا يعني اطراد وانتشار الظاهرة في كل الأوساط الشعبية . بحيث يتحول معها كل أمي إلى مثقف يحذق الكثير من العلم أو المعرفة . لقد كانت هناك جهود عظيمة باركتها السلطات والهيئات الدينية والعلمية من أجل تعليم وتثقيف الجماهير ، ولكن هذه الجهود خضعت لظروف تاريخية حضارية أثرت فيها قوة أو ضعفاً ، إيجاباً أو سلباً ، وكان لها مسار يمكن أن نترسم خطاه على نحو تمثيلي أو تقريبي كما تشهد به

وقائع التاريخ .

● إيجـابيات ملموسـة :

في صدر الإسلام والرسول (ﷺ) حيٌّ بين أظهر الناس، كانت هناك دوافع دينية وثقافية فجرت حركة علمية تعليمية لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل . فالدين ، ومعه العلم ، أخرج الناس من الظلمات إلى النور : ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام والمدنية . ولا تزال غضاضة الآية : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ... » توحي بدلالاتها في تعليم الأميين وتزكيتهم لعقود طويلة تحولوا فيها إلى حكماء ... كان الأعرابي يأتي إلى النبي بكل خشونة البداوة ، متعطشاً للتثقف والتفقه ، قائلاً بكل صدق : « إني أعرابي جاف فعلمني » .[٧٥] وكان صحابته (ﷺ) من حوله كالنجوم علماً وهدى ، قال عنهم : « بأيهم اقتديتم اهتديتم » . وفجر الصحابة الذين علمهم الرسول (من قراء وفقهاء) أنهار العلم .

قال القرافي : « أصحاب رسول الله كانوا بحاراً في العلوم على اختلاف أنواعها من الشرعيات والعقليات والحسابيات والسياسات والعلوم الباطنة والظاهرة ، حتى يروي أن علياً جلس عند ابن عباس في الباء من بسم الله من العشاء إلى أن طلع الفجر ، مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرأوا كتاباً ، وحتى قال بعض الأصوليين : لو لم يكن لرسول الله معجزة إلا أصحابه لكفوه في إثبات نبوته » .[٧٦]

كان الوحي يتنزل على الرسول فيتلقفه الصحابة بعقول مفتوحة وقلوب مؤمنة ، وكأنه المطر يحي أرضاً متعطشة فتهتز خضراء منبتة ، مزهرة ومثمرة ... كانوا يتدارسون القرآن ، ويتناولون الفقه ، ويتناقلون الحديث . وعرفوا منذ الأيام الأولى للإسلام كيف يتحلقون للعلم تعلماً وتعليماً ... في مسجد قباء كان لهم مجالس علم . عَنْ عبد الرحمن بن غنْم قال : « حدثني عشرة من أصحاب رسول الله (ﷺ) ، قالوا : كنا نتدارس العلم في مسجد قباء »[٧٧] . وكان مثل ذلك في مسجد المدينة . عن جابر بن سمرة ، قال : « دخل رسول الله (ﷺ) المسجد وهم حلق (صحابته في مسجد المدينة) ، فقال : مالي أراكم عزِّين ؟ » (أي فرقاً مختلفة لا يجمعها مجلس علم واحد) .[٧٨]

وكان الرسول يشجع صحابته على اتباع هذه السنة الحميدة في تعلم الدين ، واتسعت دائرة

العلم حتى شملت كل العلوم . واستر التحلق في المساجد في عهد الرسول وبعد وفاته . عن أبي قرة أنه قال : « أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ، فإذا كان يوم الجمعة اغتسلوا ولبسوا من صالح ثيابهم ، وشموا من طيب نسائهم ، ثم أتوا الجمعة وصلوا ركعتين ثم جلسوا يبثون العلم والسنة حتى يخرج الإمام » .[٧٩]

وقد ذكر أبو نعيم في الحلية في ترجمته لابن عباس ، الصحابي الجليل ، « أن طلاب العلوم لما ازدحموا عليه وضاق بهم الطريق ، رتبهم في التقديم على حسب مطالبهم ، ولم يراع في ذلك سابقاً :

- الطالبون للقرآن وحروفه وما أرادوا منه .
- من طلب تفسير القرآن وتأويله .
- من طلب الحلال والحرام والفقه .
- من طلب الفرائض .
- من طلب العربية والشعر والغريب من الكلام » .[٨٠] .

ومع ذلك يجب ألا تذهب بنا المبالغة بعيداً ونتصور الصحابة كلهم علماء أو من طراز ابن عباس ، فالحق كما قال الشاطبي : « كان في الصحابة والتابعين ومن بعدهم خاصة وعامة ، وكان للخاصة من الفهم في الشريعة ما لم يكن للعامة ، وإن كان الجميع عرباً وأمة أمية ، وهكذا سائر القرون إلى اليوم » .[٨١]

ويبدو أن عملية محو أمية الصغار والكبار كانت تسير - برغم انتشار الكتاتيب والعلماء في البلاد والأمصار - ببطء ، وبالذات في العقود الأولى من الإسلام ، فالجماهير جلها أمية ، والعملية التثقيفية في الدين والعلم تكاد تبدأ من الصفر . قال الحسن البصري : « لقد أتى علينا زمان وإنما يقال : « تاجر بني فلان ، وكاتب بني فلان ، وما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد . قال الحسن : كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كاتباً » .[٨٢]

ولكن بعد الفتح واستقرار الأمن وثبات السلطة ، وامتثال الجماهير لتعاليم الدين وقيمه وآدابه ، وجدنا دوائر الأمية والجهالة تأخذ في الانحسار ، وكان ذلك لسببين :

١ - تعليم الصغار كتاب الله ودينه وشريعته . ولم يكن هذا التعليم يتم دون إكسابهم آليات

القراءة والكتابة . واعتبر المسلمون هذا التعليم واجبا دينياً ينهضون به ، أو هو حق لأولادهم في أعناقهم لابد من أدائه . عن أبي رافع : قلت يارسول الله : لأولادنا حق كحقنا عليهم ؟ فذكر (ﷺ) : « من حقهم على آبائهم تعليم كتاب الله والرمي والسباحة » .(٨٣)

وحذر الإسلام الآباء من عذاب الآخرة إن هم قصروا في هذا الحق . وقد فسروا الوقاية في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ بأنها حسن تربية الأولاد . وبالمثل أثر عن رسول الله (ﷺ) قوله : « لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله » .(٨٤) .

ولهذا سارع الآباء بتعليم أولادهم بأنفسهم أو بإرسالهم إلى الكتاب أو باستقدام مؤدبين لهم على النحو الذي تعرضنا له من قبل . وكانت هذه الحركة موضع تقدير واهتمام كل المسلمين الواعين بقيم العلم وتأثيراته ... كان سعيد بن المسيب ، من كبار فقهاء التابعين م / ٩٤ هـ ، إذا مر بالمكتب ، ورأى فيه الصبيان يتعلمون ، وتصورهم في مستقبلهم عندما يكبرون ، كان يقول : « هؤلاء الناس بعدنا » .(٨٥)

ومما يقدر للمجتمع الإسلامي أنه لم يترك الفقراء واليتامى للضياع وللجهل ، وإنما أنشأ لهم مكاتب الأيتام أو مكاتب السبيل تقدم لهم العلم والغذاء والكساء بالمجان . وكمثال دال ، فإن مدينة قرطبة شهدت في عهد الحكم ثمانين مكتباً عاماً ، كان منها سبعة وعشرون خصصت لليتامى ، وقرر لكل طفل يومياً رطل خبز وجلباب للشتاء وآخر للصيف . ويذكر ابن عذارى المراكشي أن ثلاثة من هذه المكاتب كانت حوالي المسجد الجامع ، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة ، وأورد لابن شخيص قوله :

وساحة المسجد الأعلى مكللة ... مكاتب لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم ... نادتك ياخير تاليها وواعيها

وفي سنة ٣٩٤ هـ حبس الحكم كذلك حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين لأولاد الضعفاء .(٨٦)

٢ - التزام العلماء بواجب ديني يتمثل في نشر العلم الذي تعلموه ، « فكتمه إثم كبير » ،

« وزكاة العلم نشره » والعالم الذي لا يعلم متمول بخيل » . وبالمثل كان هناك التزام العامة بواجب التفقه في الدين وتحصيل العلم ، « فمن لم يتعلم العلم عذبه الله على الجهل » ، « والناس اثنان : عالم أو متعلم وما دونهما همج رعاع » .[٨٧]

وهكذا أصبح التعليم أو التعلم واجباً ، وهذا ما أكده أبو الحسن العامري بقوله : « ظهر أنه من الواجب على كل إنسان أن يلتزم التعليم لمن هو دونه ، والتعلم ممن هو فوقه » .[٨٨] وكان هذا الواجب أسلوباً عملياً وليس شعاراً لفظياً . روى ابن الجوزي بإسناده عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «كان الرجل إذا لقى من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة ، وإذا لقى من هو مثله دارسه وتعلم منه ، وإذا لقى من هو دونه تواضع له وعلمه » .[٨٩] ومن ثم فقد اتصل الطرفان ، العالم والمتعلم ، في علاقات تفاعلية ، وأوجد المسلمون بحركتهم التثقيفية مجتمع التعلم المفتوح : يعلم بعضهم بعضاً ، ويتعلم بعضهم من بعض . ورحم الله الجاحظ حين قال : « لا يزال الناس بخير ما بقى الأولى حتى يتعلم الآخر » .[٩٠] .

في عصور الإسلام الحضارية نشطت حركة التعليم والتثقيف في خطين متوازيين : تعليم صغار وتثقيف كبار . وأسهم تعليم الصغار في البيوت والكتاتيب إسهاماً كبيراً في سد منابع الأمية وتخريج أجيال متعلمة تواصل نموها بأساليب مختلفة في سبيل التعلم النظامي أو الذاتي ... كما أسهمت مجالس العلم بالمساجد في نشر المعرفة ورفع مستواها لكل أفراد المجتمع الذين عرفوا المساجد دور عبادة ومعاهد ثقافة . وكان هذا الإخصاب المعرفي أو الثقافي شاملاً - كما ذكرنا من قبل - لجنسي الذكور والإناث ، حتى إن المستشرق الهولندي دوزي ، قدر بأن كل فرد في الأندلس رجلاً كان أو امرأة ، كان يعرف القراءة والكتابة .[٩١] ومما يؤكد صحة هذا القول ما ذكره ابن فياض في تاريخه بأن الكاتبات في الربض الشرقي من مدينة قرطبة بلغ مائة وسبعين امرأة كن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، علماً بأن أرباض قرطبة كانت ثمانية وعشرين ربضاً.[٩٢] ومن جهة أخرى يقول المقري : « إن البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم حتى في نسائهم وصبيانهم » . ويذكر عدداً من مشاهير نساء الأندلس العالمات والأديبات .[٩٣]

وابن بطوطة يشيد بنساء مدينة هنور بالهند ويقول: «إن من خصائص نسائها أنهن

يحفظن القرآن الكريم » .[٩٤]

والقرشي م / ٧٧٥ هـ يذكر أسماء شهيرات تعلمن في بيوتهن ، متحسراً أنه لم يقع له إلا القليل من أسمائهن لأن « حال النساء مبنى على الستر » ، وإلا فإن المتعلمات والعالمات منهن كثيرات لا يحصيهن العد ، ويقول : « وبلغنا عن بلاد ما وراء النهر وغيرها من البلاد أنه في الغالب لا تخرج فتوى من بيت إلا وعليها خط صاحب البيت وابنته وامرأته أو أخته إلى غير ذلك من الإلزام » .[٩٥]

ويذكر الوزير السراج م / ١١٤٩ هـ عن الشيخ عبد العزيز العبدوسي م / ٨٣٧ هـ أن مجالسه العلمية بمسجد الزيتونة كانت تغص بالجماهير ، « وكان الناس يتسابقون إلى مواضعهم قبل الصبح رجالاً ونساءً متزاحمين ، وفي خارج المسجد أكثر »[٩٥ م] .

● سلبيات محسوسة :

لم تكن هناك بالطبع في عصور الماضي إحصاءات عامة تكشف لنا في أرقام صحيحة عن حجم المتعلمين بحسب فئاتهم وبيئاتهم ومستوياتهم الثقافية . وإنما قدمت لنا تلك العصور دلالات نوعية واضحة تجسم الظاهرة الثقافية في مجتمعات المسلمين سواء في جانبها الإيجابي أو في جانبها السلبي . فظاهرة الثقافة كأي ظاهرة اجتماعية تخضع لعوامل وظروف تاريخية معقدة ومتشابكة ، تجعل منها في عصر أو في بيئة ظاهرة مُرْضية ، وفي عصر أو في بيئة أخرى ظاهرة مَرَضية . ولقد قدمنا فيما سلف إشارات خاصة بالوجه الإيجابي من الظاهرة الثقافية . ونقدم فيما يلي إشارات معاكسة ترتبط بالوجه السلبي لهذه الظاهرة .

- على مستوى الكتاب وتعليم الصغار ، وجد آباء لم يلتزموا بالواجب الديني في تعليم أبنائهم . يوضح ذلك ابن الجوزي ، فيقول : « ورأيت عامة من له ولد (من طبقة صغار التجار والحرفيين) يشغله ببعض هذه الأشغال طلباً للكسب قبل أن يعرف ما يجب عليه وما يتأدب به » .[٩٦] ويتفق معه ابن قيم الجوزية ، فيقول : « وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم » .[٩٧]

هذا من جهة الآباء ، وأما من جهة المعلمين ، فقد وجد منهم كثيرون كانوا « ناقصي

العقل » بلغة ابن حوقل ، كما كان منهم فاشلون لجأوا إلى التعليم في صقلية « هرباً عن الجهاد ونكولاً عن الحرب » .[٩٨] وكان لهم زملاء مشابهون في الأندلس « جهال بصنعة التعليم » كما ذكر ابن عبدون ، كاشفاً عن طمعهم المادي بإكثارهم من الأولاد في المكاتب دون تعليم . قال : « يجب للمؤدب ألا يكثر من الصبيان ويمنعون من ذلك . وأنا أقول إنهم (المعلمون) لا يفعلون ، فإنه لا يقوم الواحد بخدمة الجماعة لا سيما التأديب ، ولا يعلمهم شيئاً على ما ينبغي » .[٩٩]

وكان كثير من الآباء يرسلون بأولادهم إلى الكتاتيب في بلاد المغرب الإسلامي ، ليس بهدف التعليم ، وإنما تخلصاً من متاعبهم في الدور ، ومن ثم لم يكن هؤلاء الأولاد وهم في سن صغيرة يتعلمون شيئاً ، فهم فاقدون القابلية للتعلم ، وكان جهد المعلم إن كان له جهد يذهب سدى في الهواء ، طبقاً لشهادة العبدري[١٠٠]

وتحولت الكتاتيب في هذه الحالة إلى « بيوت حراسة » تحتجز الصغار لساعات من النهار دون تربية أو تعليم .. لا إشراف ولا متابعة من قبل الآباء ، ولا اهتمام من قبل المعلمين وهم مشغولون بواجبات خاصة كحضور الجنازات ، والشهادات ، وكتابة الرسائل ، وتلاوة القرآن في البيوت والمحال .. وكثيرا ما تركوا مهمة التعليم لعرفاء كانوا أسوأ حالاً من المعلمين .. وظلت الكتاتيب في عصور الضعف والانحطاط تنحدر في خط نازل حتى أصبحت في العصور الأخيرة ، أشبه « بمنابت للجهل » بلغة الشيخ محمد عبده ، لا تخرج غير عاطلين أو مجرمين فاسدين أو متسولين .[١٠١]

ولم يكن عجيباً أن نرى الكتاتيب وقد انتشرت بالآلاف المؤلفة في ربوع العالم الإسلامي ولم تنقذ الناس من الجهل ولم تعصمهم من الأمية ، لأن الصغار وقد قضوا فيها سنوات يتخرجون بقرآن محفوظ كله أو بعضه ، وبمبادئ هزيلة من علم أو ثقافة سرعان ما تمسحها يد الأيام أو يبخرها حر الزمان في بيئات اجتماعية مسامية يحيط بها الجهل ويجمدها التخلف والمعرفة التي لا تستثمر ولا تجد شيئاً يوظفها في المجتمع ، تتبخر ثم تزول ، ويرتد أصحابها إلى صفوف الأمية وقد نسوا كل شئ ودخلوا مع أجيال الكبار في غمار العامة . والقليل من هؤلاء الصغار الذين ينتسبون إلى أسر ميسورة أو مثقفة تقدم لهم كل سند مادي وأدبي يحفظ لهم مكتسباتهم التعليمية وينميها بشكل وظيفي في خدمة العلم

والمجتمع ، كانوا الاستثناء الذي لا ينفي القاعدة .

- على مستوى الجماهير والعامة من الكبار وجدنا تباينات كبيرة تختلف من بلد لبلد ، ومن طبقة لطبقة وحتى في عصور الحضارة قدم لنا الرحالة ، أوصافاً دالة على سوء الحال التي تردى فيها العلم بين أوساط شعبية لاحظ لها من أدب أو ثقافة .

يذكر المقدسي م / ٣٧٨ هـ عن أهل القيروان أنهم « كالأغنام المرسلة »[١٠٢] والشاعر القاص كلثوم بن عمر العتابي يحكم على العامة الذين يتحلقون من حوله في المسجد ببغداد بأنهم بقر لشدة جهلهم وخفة عقلهم ، ويدلل على صحة حكمه باختبار ثقافي أجراه عليهم .[١٠٣] .

ويذكر الكليني الشيعي م / ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ في مقدمة كتابه الكافي قائلا : « أما بعد فقد فهمت يا أخي ما شكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها ، ومباينتهم العلم وأهله حتى كاد العلم معهم أن يأزر (يضعف) كله وينقطع مواده ، كما قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل ، ويضيع العلم وأهله » .[١٠٤]

إننا نقبل هذه الأحكام بشيء من التحوط والتحفظ ، لأنها أحكام ذاتية ونسبية ، وتعبر عن النظرات الخاصة لأصحابها ، وهي نظرات في أغلبها مزاجية تعكس هنا حالة من التشاؤم أو الإحباط عند أولئك المثاليين الذين ينظرون إلى قيم ومثل عليا يعجز الواقع عن الوصول إليها ... إن القرن الرابع الذي تجرى فيه هذه الأحكام كان قرن ازدهار حضاري وازدهار ثقافي .

ولم نشهد الانهيار الحقيقي إلا في عصور تالية انتكست فيها رايات العلم وانطمست معالم الثقافة ... عصور أظلمت بفعل غزوات المغول المتعاقبة في بلاد المشرق الإسلامي ، وحملات الصليبيين خلال قرنين في قلب العالم الإسلامي (الشام وفلسطين ومصر) ، وحروب الفرنجة من الأسبان في غرب العالم الإسلامي بالأندلس ، حيث قتل آلاف العلماء ، وأبيدت المكتبات ، ودمرت المساجد والمدارس ، وتجمدت حركة العلم والثقافة ، حتى إن حلب بعد غزوة صليبية في ٥١٨ هـ قضت على كل عالم بها لم يجد أهلها غير حائك كان عنده قليل من النحو فوكلوا إليه بتعليم أولادهم[١٠٥]

وإذا كان الغزو الخارجي أدى إلى هذا الضعف الثقافي والتأخر العلمي ، فإن الأتراك

بعد انقضاء عصر السلاطين العظام الأول ، كانوا قوة تـأخير وتجهيل للمسلمين من الـداخل . لم يكونوا كالعرب أهل حضارة وتفتح ، ولم يقـدموا في مجـال الإبـداع العلمي شيئـاً ، وإنمـا كانوا « همجاً » بلغة ابن إياس .[١٠٦]

في عهـدهم أهملت المـدارس ، وامتـدت أطماع الطـامعين في استصفـائها ونـزع وقـوفهـا وأحبـاسهـا وكما جـاء في الخطـط التوفيقيـة : « امتنـع الصرف على المـدارس (في القـاهرة) والطلبة والخدم ، وانقطع التدريس بـالكليـة لكثرة الاضطرابـات ، وبيعت كتب المـدارس وانتهبت ، حتى آلت الحـال ببعض المـدارس الفخمـة والمبـاني الجليلـة أن أصبحت زوايـا صغيرة ، وزال بعضها جملة أو صار زريبة أو حوشاً أو غير ذلك » .[١٠٧]

ويذكر ابن دقاق في كتابـه « الانتصـار » أن عـدد المـدارس والمستشفيـات والمؤسسـات التعليمية بالقاهرة وحدهـا قـد بلغ ١٥٥ مـدرسـة ومؤسسـة في الفترة التي امتـدت منـذ قيـام الـدولـة الأيوبيـة سنـة ٥٦٧ هـ حتى نهـايـة دولـة الغوري سنـة ٩٢٢ هـ . وقـد زالت هـذه المؤسسات بدخول الأتراك مصر ، ولم يبق منها عند قيام الدولة المصريـة الحـديثـة في عهـد محمد علي سوى ١٥ مدرسة وبعض الكتاتيب .[١٠٨]

وقـد وقع مثل ذلـك في عـاصمـة الشـام ، فقـد « دخل الأتراك دمشـق وفيهـا أكثر من ١٥٠ مدرسة للقرآن والحديث والفقـه على المـذاهب الأربعـة ، ومـدارس للطب ، ومـدارس للهندسة ، عدا الربط والخوانق والمستشفيات ، وخرجوا منها بعد زهاء أربعة قرون ، وليس فيها سوى بضعة مدارس عامرة بعض الشيء ولا تدريس فيها ».[١٠٩]

والكتاتيب تلاشت إلى حد كبير ، ومعلموهـا « خرجوا على الأكثر من غمـار الجهلاء ... ولا تجد في كل مائة قرية في العمالات العربية مدرسة ابتدائية واحدة ... وأتى زمن ولا من يحسن القراءة العادية في عدة قرى كبيرة ، بل حـدث أن بعض النـابهين في بليـدة إسلاميـة أراد أن يعلم ابنه القرآن ، فلم يجـد لـه فيهـا شيخـاً يستطيع إقراءه إيـاه ، فعمـد إلى راهب يقرئه لابنه ففعل » .[١١٠]

وهكـذا عم الجهل ، وسـادت الأميـة ، وانتشرت الخرافـات ، وتجمـدت الحيـاة ، وأصبح المسلمون في أخلافهم غير المسلمين في أسـلافهم ... كان القطـع الثقـافي بين الأوائـل والأواخر كبيراً . وليس من المبالغـة في شيء أن يقـدم الرحـالـة من الفرنسيين الـذين قـدموا إلى مصر

قبيل حملة نابليون شهادة عيانية قاسية لكنها صادقة ، وقالوا « إن مصر قد ماتت » ، ولم تكن مصر وحدها هي التي ماتت ولكنها أمة إسلامية عريضة قد جاءها هذا الموت المعنوي [١١١] ومن دلالات هذا الموت الحضاري أن اللغة العربية وهي أداة فكر وثقافة قد انحطت إلى الدرجة التي أصبح معها العرب عاجزين - كما قال إبراهيم اليازجي - عن تسمية الأشياء التي تحيط بهم .[١١٢]

● لا ثقافة لأمي في عالم اليوم :

من بين مليار ومائة مليون مسلم يعيشون في عالم اليوم ، يوجد أكثر من نصفهم أميون والأمي المعاصر شبيه بالعامي القديم المحروم من كل علم أو ثقافة ، فهو أمي قرائياً وأمي ثقافياً وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، فالآخرون الذين خرجوا من دائرة الأمية ليسوا بالمثقفين الذين يرتفعون إلى مستوى ثقافي مناسب في عصر تتضاعف فيه المعرفة مرة كل ثماني أو ست سنوات . ولو طبقنا عليهم اختبار محو الأمية الثقافي لوجدنا أكثر من ٩٠ ٪ منهم دون مستوى النجاح المطلوب .

ولو قارنا الوضع في البلاد الإسلامية بدولة كبرى تصنع إعجازات التقدم العلمي في عالمنا المعاصر ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، فإننا نجد دلالة واضحة مرشدة تكشف لنا عن انتكاسنا المخزي . ففي هذه الدولة الكبرى ٢٢ مليوناً من الأميين ، لا يقرأون ولا يكتبون ، ممن ينتسبون إلى أصول وبيئات متخلفة كالزنوج السود ، والمهاجرين من دول أمريكا اللاتينية وغيرها من بلاد العالم الثالث ، وهذا العدد يمثل نسبة تقل عن ١٠ ٪ من جملة المواطنين الأمريكيين . وفي مقابل هذه الأمية المتناقصة توجد أمية من نوع آخر أكثر انتشاراً ، إنها الأمية الثقافية والتي تشمل نصف الرجال والنساء في الولايات المتحدة الأمريكية طبقاً لتقديرات جامعة هارفارد .[١١٣] ولهذا فإن السلطات تخصص نصف ميزانية التعليم لمحو هذا النوع الجديد من الأمية الوظيفية . وتنشط حركة تعليم الكبار في إطار تربية مستمرة ، وصولاً بالجماهير إلى مستوى ثقافي متجدد وفعّال يؤهلهم لمعايشة الحضارة في عصر ما بعد التصنيع .

ونحن كمسلمين ، ماذا فعلنا على مستوى تعليم الصغار ، وعلى مستوى تعليم الكبار ؟!

حوالي ربع عدد الأولاد الملزمين في سن التعليم الابتدائي لا يجدون مكاناً لهم في المدرسة ، وأكثر من نصف الكبار الذين تجاوزا سن الإلزام في أمية قرائية ، ومن بقي في أكثرهم لم يتحرروا بعد من أغلال الأمية الثقافية ... ولا تزال الجهود برغم تناميها هزيلة وبعيدة تماماً عن خلق المجتمع المسلم المتعلم الذي يفخر بانتصاره في معركة الشرف الحضاري والذي يليق بنا كأمة أصولية جعلها الله خير أمة أخرجت للناس .

ولا أمل في حياة لأمة إسلامية تعيش في ذيل الأمم ، ولن تكون نهضتها غير وهم أو سراب ، فالوجود الحي للأمة ليس مجرد وجود فيزيقي متآكل محكوم عليه بالفناء . فهذا الوجود يجر الأمة إلى العدم ، لأنه وجود سلبي ، ليس له ما يمكنه من العيش والبقاء في عالم حضاري متصارع يعيش فيه الأقوياء على حساب الضعفاء ، والأغنياء على حساب الفقراء .

وحضارة اليوم قوة وغنى ، يصنعها العلم ، وتتقدم بها التكنولوجيا . والعلم والتكنولوجيا ثمرة علم وتعليم . والأمة التي تسبق غيرها هي التي تتفوق في مضمار العلم والتكنولوجيا ، أي تصبح أمة متعلمة ، متعلمة بكفاية على مستوى الجماهير بكل أفرادها ، وليس فقط على مستوى القلة من الصفوة التي تحتكر العلم والمعرفة .

والحضارة في طبيعتها المعاصرة ، مختلفة عن سالفتها الإسلامية ، إنها اليوم مادية أكثر منها روحية . وما لم تكن للمسلمين القوة المادية التي تصنع سلاحهم ، وتنتج غذاءهم ، وتنسج ملابسهم ، وتداوي أمراضهم ، فلن تغنيهم القوة الروحية التي يفاخرون بها الغرب . فهذه القوة بدون مادة تقيمها زائلة الوجود ضائعة الأثر . وصدق الإمام الغزالي حين قال : « كيف يعبد الله من كان غير آمن في سربه ، ولا معافى في بدنه ، ولا واجداً قوت يومه ؟ ! »[١١٤] والكفر قرين الفقر ، وقديماً ردد المسلمون حكمة بليغة صادقة في كل عصر : إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك .

وسمة أخرى مرتبطة بمادية الحضارة ، تتمثل في علمية الثقافة وشمولها . ولهذا فلن نستطيع أن نربي أميين مثقفين في هذا العصر كأسلافهم يكتفون بتحصيل ثقافة دينية بأسلوب السماع أو المشافهة ، فهذا النوع من الأميين المثقفين قد انقرض ، ولم يعد له وجود في عالم اليوم . لقد أصبح المثقف يصنع ويعد في مراحل تعليمية متعاقبة وطويلة يكتسب فيها بأساليب تربوية علمية : مفاهيم وتصورات - قدرات وكفاءات - قيماً واتجاهات ، تصبح له مكونات ثقافته

الحيوية التي يتفاعل بها مع متغيرات العصر .

كان الصوفي القديم يكتفي بروحانيته في دنيا تحفل من حوله بكل أسباب الحياة ، ولكنه كان يعيش في دنياه غريباً ، كان بين الناس كائناً بائناً . والمسلم في هذا العصر لن يعيش بهذا البعد الروحي الواحد ، وإلا حكم على نفسه بالغربة وبالموت .

كما أن الثقافة العصرية، ثقافة مرمَّزة ومقننة Culture Codèe لا يمكن تحصيلها بغير تملك لمفاتيح القراءة والكتابة ، ومن ثم فثقافة العصر تلفظ الأميين الذين لا يحسنون التعايش أو التفاعل معها ... كل فرد يجد نفسه في مواقف تتطلب منه القراءة والكتابة ، وإلا أصبحت مواقف مؤزمة تحبط كل مساعيه ، وهذه المواقف كثيرة تتغاير وتتعاقب في كل لحظة وفي كل مجال ، وبخاصة إذا كان يعيش الفرد في مدينة كل أنواع السلوك فيها منظمة أو مُنَمذْجة :

إذا دخل مكتب البريد أو مصرفاً مالياً عليه أن يتبع تعليمات التعامل ويحرر بنفسه معاملاته ...

إذا دخل بيته أو محل عمله ، عليه أن يعرف استخدامات الأجهزة التي تحت يده ، وكثيراً ما تكون مكتوبة .

إذا خرج من عند طبيب أو صيدلاني ، عليه أن يقرأ إرشادات وصفته الطبية أو صفة الدواء الذي يتناوله .

إذا ركب « أتوبيساً » عليه أن يتأكد من وجهته : رقمه ومساره .

إذا اشترى مشروبات أو أطعمة ، عليه أن يراجع تواريخ إنتاجها وانتهاء صلاحيتها .

إذا شاهد « فيلماً » أجنبياً ، عليه أن يفهم لغته أو يقرأ ترجمته المطبوعة على الشاشة .

ومما يزيد من خطورة أوضاع الأميين في حياة العصر وثقافتها العالمة Savante ، أن الحياة أصبحت فردية ، ينهض فيها الفرد بأموره الخاصة ، ولم يعد يستطيع الاعتماد على غيره في إنجاز أعماله كما كانت الحياة الجمعية في الماضي ، حيث كان الإنسان يعيش في أسر كالعشائر وفي جماعات كالقبائل أو المحليات ، حياة مكثفة العلاقة ، يكفي أن يكون فيها واحد هو كاتب الحي أو مثقف الجماعة ...

إن الأمي في هذا العصر متخلف وعاجز ، ومن ثم كان القضاء على الأمية قضاء على

التخلف والتبعية ، وسبيلاً أولياً ورئيساً للدخول إلى عالم التقدم والسيادة : على مستوى الفرد والوطن والأمة .

وليس لذلك من بديل ، فالمجتمعات المتخلفة هي في حقيقتها مجتمعات تربيتها متخلفة .

(المراجع والتعليقات الهامشية)

١ - ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، م - ٤ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط - ٣ ١٩٦٥ ، ص ١٦٠ .

٢ - ابن عبد البر النمري القرطبي ، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس** ، القسم الأول ، (تحقيق محمد مرسي الخولي) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د . ت) ، ص ٣٥٥

كان ذلك بمناسبة رؤية هلال رمضان . والمراد بالحساب حساب النجوم وتسييرها . ونص الحديث عن البخاري ومسلم : « إنا أمة أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا ، أو هكذا ، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » .

انظر فتح الباري ، م / ٥ ، ص ص ٢٨ - ٢٩ (للمحقق) .

٣ - أبو بكر البيهقي الشافعي ، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، (تقديم وتعليق أحمد عصام الكاتب) ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨١ ، ص ٢٥٨ .

٤ - بهاء الدين العاملي ، **الكشكول** ، ج - ٢ ، (تحقيق طاهر أحمد الزواوي) ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، الحلبي ، ١٩٦١ ، ص ٣٩٣ .

٥ - الشاطبي ، **الموافقات في أصول الشريعة** ، ج - ٤ (أخرجه عبد الله دراز) ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، (د . ت) ، ص ٦٩ .

٦ - **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .

7 -Faulquié (Paul), **Dictionnaire de la Langue Pédagagique,** Paris, P.U.F., 1971, P. 18.

٨ - الجاحظ ، **البيان والتبيين** ، ج - ٣ ، القاهرة ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٢ ، ص ص ١٤١ - ١٤٢ .

٩ - النويري ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ج - ١٨ ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، (د . ت) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ص ٣٤٦ .

١٠ - عبد الحي الكتاني ، **نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية** ، ج - ١ ، بيروت ، حسن جعفا (الناشر) ، ١٣٤٧ هـ ، ص ١٧٥ .

١١ - الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، ج - ٢ ، بيروت ، دار الفكر العربي ، (د . ت) ، عن نسخة قديمة طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، ١٩٥٥ ، ص ١١٨٢ .

١٢ - د . محمود قبر ، **تعليم الكبار : مفاهيم - صيغ - تجارب عربية** ، الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

١٣ - الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج - ٧ ، بيروت ، دار القاموس الحديث ، (د . ت) ، ص ص ١٩٧ - ١٩٨ وانظر - ابن سعد ، **الطبقات الكبرى** ، ج - ٣ ، بيروت ، دار صادر ، (د . ت) ص ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٣٦ ، ٦٠٤ ، ٦١٣ ، ٦٢٢ حيث ذكر أسماء نفر من الصحابة كانوا كاتبين في الجاهلية والإسلام .

وانظر كذلك الجهشياري ، **كتاب الوزراء والكتاب** ، (تحقيق مصطفى السقا وآخرين) ، القاهرة ، الحلبي ، ط - ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ حيث ذكر أسماء كتاب الوحي للرسول (ﷺ) .

١٤ - الجهشياري ، **المرجع السابق** ، ص ٢٨ .

١٥ - ابن عبد البر النمري القرطبي ، **مرجع سابق** ، ص ٣٥٧ .

١٦ - انظر - الجهشياري ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .

١٧ - ابن سعد ، **مرجع سابق** ، ج - ٣ ، ص ٦٢٢ ، ج - ٧ ، ص ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

١٨ - ابن عبد البر النمري القرطبي ، **مرجع سابق** ، ص ٣٥٧ .
قيل لنصر بن سيار : فلان لا يخط . قال : تلك الزمانة الحفية .

١٩ - القلقشندي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، م - ١ ، (نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية) ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ ، ص ٣٧ .

٢٠ - ابن عبد ربه ، **مرجع سابق** ، م - ٤ ، ص ١٦٠ .

٢١ - ابن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون** ، بيروت ، دار الفكر ، (د . ت) ، ص ص ٤١٩ - ٤٢١ .

٢٢ - أبو الحجاج يوسف محمد البلوي ، **كتاب ألف باء** ، ج - ١ ، بيروت ، عالم الكتب ، (د . ت) ، ص ٧٧ .

٢٣ - المعروف أن سلمان الفارسي تعلم في صغره في كتاب فارسي .
انظر - ابن سعد ، **مرجع سابق**، م - ٤ ، ص ٨١ .

٢٤ - عبد الحي الكتاني ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ٢٩٣ .

٢٥ - **المرجع السابق** ، ص ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

٢٦ - د . محمود قمبر ، « التربية الإسلامية » في **دراسات في أصول التربية** ، الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٧٤ .

٢٧ - **المرجع السابق** ، ص ٤٠٤ .

٢٨ - أبو الفداء ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج - ٩ ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣٥ ، وكذلك ، أبو العباس ثعلب ، **مجالس ثعلب** ، القسم الأول ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ط - ٣ ، ١٩٦٩ ، ص ١٠ .

٢٩ - ابن الحاج ، **المدخل** ، ج - ٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط - ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣٦ .

٣٠ - د . محمود قمبر ، « التربية الإسلامية » ، **مرجع سابق ، ص ٣٧٤ .**

31 - Wielk Walter, **Femmes en Islam**, Paris, Sindbad, 1981, P. 48.

٣٢ - الجاحظ ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ٢٠٣ .

٣٣ - الأصبهاني ، **الأغاني** ، (تحقيق إبراهيم الإبياري) ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٩ ، ص ٨٤١٥ .

٣٤ - انظر - ابن سحنون ، **آداب المعلمين** ، (تحقيق د . أحمد فؤاد الأهواني) ، ملحق بكتاب **التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي** ، القاهرة ، مكتبة الحلبي ، ١٩٥٥ ، ص ١٧٧ والقابسي من أنصار عدم الاختلاط ، قال : « ومن صلاحهم (أي الأطفال) ومن حسن النظر لهم ألا يخلط بين الذكران والإناث » .
المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

٣٥ - ابن بسام ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨ ، ص ١٦٣ .

٣٦ - ابن بطوطة ، **رحلة ابن بطوطة** ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٥٤٥ .

٣٧ - أبو الحجاج يوسف محمد البلوي ، **مرجع سابق** ، ص ٧٥ .

٣٨ - **رحلة ابن بطوطة** ، باريس ، طبعة المطبعة الإمبراطورية ، ١٨٥٣ ، ص ٢٣٦ .

٣٩ - المقريزي ، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج - ٣ ، القسم الثاني ، (تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور) ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ٥٧٤ .

٤٠ - الذهبي ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ١٠٠٤ .

٤١ - أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** ، (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، ومحمد حجي) ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١ ، ص ٥٣ .

٤٢ - د . عمر فروخ ، **عبقرية العرب في العلم والفلسفة** ، بيروت ، ط - ٣ ، ١٩٦٩ ، ص ١١ .

٤٣ - ابن خلدون ، **مرجع سابق** ، ص ٤٣٠ .

٤٤ - الغزالي ، **المنقذ من الضلال** ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩ .

٤٥ - الماوردي ، **كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك** ، (تحقيق محي هلال السرحان) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ١٤ .

٤٦ - الماوردي ، **أدب الدنيا والدين** ، (تحقيق مصطفى السقا) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط - ٤ ، ١٩٧٨ ، ص ص ٤٨ - ٤٩ .

٤٧ - الماوردي ، كتاب تسهيل النظر ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٤ - ١٦ .

٤٨ - ابن الحاج ، **مرجع سابق** ، ج - ٣ ، ص ١١١ .
يورد حديثاً للرسول (ﷺ) يقول فيه : « ما استرذل الله عبداً إلا حظر عليه العلم » .

٤٩ - أبو هلال العسكري ، **الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه** ، (تحقيق د . مروان قباني) ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦ ، ص ٩٠ .

٥٠ - د . محمود قمبر ، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية** ، ج - ١ ، الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٨٥ ، ص ٣٧٢ .

٥١ - ابن حزم ، **طوق الحمامة في الألفة والألاف** ، (تحقيق صلاح الدين القاسمي) ، تونس ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ ، ص ١٣ .

٥٢ - محمد أمين بن فضل الله المحبي ، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ، بيروت ، مكتبة خياط ، (د . ت) ، ج - ١ ، ص ١٧ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٧١ ، ٨٤ ، ٣٦٧ - ج / ٢ ، ص ٤١٣ ، ٤٤٥ / ج / ٣ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ١٦٧ ، ج / ٤ ، ص ٤٣١ .

٥٣ - عبد الحي الكتاني ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ٢٩٣ .

٥٤ - المقدسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ليدن ، مطبعة بريل ، ط - ٢ ، ١٩٠٦ ، ص ٢٠٥ .

ويقر ناصر خسرو الذي زار مصر في عهد الدولة الفاطمية بما رآه من حلق العلم في مسجد عمرو بالفسطاط فيقول : « وفي المسجد حلقات درس قائمة وقراء كثيرون ... ولا يوجد أقل من خمسة آلاف شخص في المسجد في أي وقت من أوقات الليل والنهار ، فساحات المسجد لا تخلو من طلاب العلم ... » .

أبو معين الدين ناصر خسروا القبادياني المروزي ، **سفرنامة ، رحلة ناصر خسرو القبادياني** ، (ترجمة وتقديم د . أحمد خالد البدلي) ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٦ .

٥٥ - السبكي ، **معيد النعم ومبيد النقم** ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٣٦٧ هـ ، ص ٦٧ .

٥٦ - ابن الحاج ، **مرجع سابق** ، ج - ١ ، ص ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

٥٧ - **المرجع السابق** ، ج - ٣ ، ص ١٠٠ .

٥٨ - المقدسي ، **مرجع سابق** ، ص ٤٣٩ .

٥٩ - أنظر أمثلة ووقائع دالة في - د . محمود قمبر ، دراسات تراثية ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ص ١١٥ - ١١٦ .

٦٠ - سعيد الديوه جي ، « التعليم الإلزامي في الإسلام » في **آفاق عربية** ، بغداد ، السنة

الرابعة ، العدد السادس ، شباط ١٩٧٩ ، ص ٧٧ .

٦١ - الخطيب البغدادي ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** ، م - ٧ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، (د . ت) ص ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

٦٢ - ابن النديم ، **الفهرست** ، ليبزج ، فيلاج ڤون ڤوجل ، ١٨٧١ ، ص ١٩٧ .

٦٣ - ابن الفرضي ، **تاريخ علماء الأندلس** ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ص ٥٥ - ٥٦ .

٦٤ - ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (ر . ت) - ج / ٣ ، ص ٢٢٩ ، ج / ٤ ، ص ص ٧٣ - ٧٤ ، ص ١٣٩ .

٦٥ - المكناسي ، **ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال** ، ج - ٢ ، (تحقيق د . محمد الأحمدي أبو النور) ، تونس ، المكتبة العتيقية - القاهرة ، دار التراث ، ١٩٧٤ ، ص ٢٦٩ .

٦٦ - لسان الدين ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، (تحقيق محمد عبد الله عنان) ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط - ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٨٧ .

وانظر - ابن الفرشي ، **مرجع سابق** ، القسم الأول ، ص ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

٦٧ - نجم الدين الغزي ، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** ، ج - ٢٢ (تحقيق جبرائيل سليمان جبور) ، بيروت ، محمد أمين دمج وشركاه ، (د . ت) ، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

٦٨ - **المرجع السابق** ، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .

٦٩ - **المرجع السابق** ، ج - ٣ ، ص ١٤٧ .

٧٠ - أبو المحاسن الحسيني ، **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي** ، بيروت ، دار الفكر العربي ، (د . ت) ، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

٧١ - **المرجع السابق** ، ص ٢٦١ .

٧٢ - شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي ، **برنامج ابن جابر الوادي آشي** ، (تقديم

وتحقيق د . محمد الحبيب الهيلة) ، مكة ، جامعة أم القرى ، ١٩٨١ ، ص ٢٠ .

٧٣ - الحسن بن يوسف المطهر ، **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١١٨٠ ، ورقة ٤٢١ ظهر .

وانظر - ابن العماد الحنبلي ، **مرجع سابق** ، ج - ١ ، ص ٢٢٧ .

٧٤ - ابن جماعة ، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٥٤ هـ ، ص ١٣١ .

لقد عاب على محدثي زمانه أنهم يركزون في الحديث على السماع دون الرواية وما تتطلبه من فهم ونقد للأسانيد والمتون .

٧٥ - أبو زرعة ، **تاريخ أبي زرعة الدمشقي** ، ج - ١ ، (تحقيق شكر الله القوجاني) ، د . ت ، ص ٣١٢ .

٧٦ - عبد الحي الكتاني ، **مرجع سابق** ، ج - ١ ، ص ١٢ .

٧٧ - الشاطبي ، **مرجع سابق** ، ج - ١ ، ص ٦٤ .

٧٨ - رواه أبو داود في **السنن** ، ج - ٢ ، ص ١٨٥ .

٧٩ - الخطيب البغدادي ، **كتاب الفقيه والمتفقه** ، ج - ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط - ٢ ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٢٩ - ١٣٠ .

٨٠ - ابن الجوزي ، **صفوة الصفوة** ، ج - ١ ، حلب ، دار الوعي ، ١٩٦٩ ، ص ص ٧٥٠ - ٧٥٢ وأنظر - عبد الحي الكتاني ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ص ٣٥٠ - ٣٥١

٨١ - الشاطبي ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ص ٩١ - ٩٢ .

٨٢ - ابن عبد البر النمري القرطبي ، بهجة المجالس ، **مرجع سابق** ، ص ٣٥٥ .

٨٣ - العجلوني ، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** ، ج - ١ ، القاهرة ، مكتبة المقدسي ، ١٣٥١ هـ ، ص ٩٥ .

٨٤ - الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، ج - ٢ ، القاهرة ، دار الشعب ، (د . ت) ، ص ٥٢٩ .

٨٥ - ابن سعد ، **مرجع سابق** ، م - ٥ ، ص ١٤١ .

٨٦ - ابن عذاري المراكشي ، **البيان المغرب في أخبار المغرب** ، ج - ٢ ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٤٩ ، ص ٢٦٥ .

٨٧ - د . محمود قمبر ، دراسات تراثية ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ١١٣ .

٨٨ - أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ، **كتاب الإعلام بمناقب الإسلام** ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٤ .

٨٩ - ابن مفلح ، **الآداب الشرعية والمنح المرعية** ، ج - ١ ، بيروت ، دار العلم للجميع ، ١٩٧٢ ، ص ٦١ .

٩٠ - أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل ، **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨١ ، ص ٨ .

٩١ - ريسلر ، **الحضارة العربية** ، (ترجمة غنيم عبدون) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د . ت) ، ص ١٥٨ .

٩٢ - الفيكنت فيليب دي طرازي ، **خزائن الكتب العربية في الخافقين** ، م - ١ ، بيروت ، دار الكتب ، ١٩٤٨ ، ص ٥ .

٩٣ - المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، ج - ٤ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ص ص ١٦٨ وما بعدها .

٩٤ - ابن بطوطة ، **مرجع سابق** ، ص ٥٤٥ .

٩٥ - محي الدين ابن أبي الوفاء القرشي ، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، ج - ١ ، حيدر أباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ، ١٣٣٢ هـ ، ص ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

٩٥ - محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج ، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، م - ١ ، (تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة) ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٥ ، ص ٦٥٨ .

٩٦ - ابن الجوزي ، **صيد الخاطر** ، ج - ٢ ، (تحقيق ناجي طنطاوي) ، دمشق ، دار الفكر ،

١٩٦٠ ، ص ٩٠ .

٩٧ - ابن قيم الجوزية ، **تحفة المودود بأحكام المولود** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د . ت) ، ص ١٨٠ .

٩٨ - انظر - آدم متز ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، أو عصر النهضة في الإسلام ، (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة) ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طـ - ٣ ، ١٩٥٧ ، ص ٣٢٧ .

٩٩ - ليڤي بروڤنسال ، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب** ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ ، ص ٢٥ .

١٠٠ - ابن الحاج ، **مرجع سابق** ، ج - ٢ ، ص ٣٢٥ .

يقول ابن الحاج العبدري م / ٧٣٧ هـ : « والغالب في هذا الزمان أنهم يدخلون أولادهم المكتب في حال الصغر بحيث إنهم يحتاجون إلى من يربيهم ويسوقهم إلى المكتب ويردهم إلى بيوتهم . بل بعضهم يكون سنه بحيث لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه ، بل يفعل ذلك في المكتب ويلوث به ثيابه ومكانه ... ألا ترى أن الغالب منهم أنهم يرسلون أولادهم إلى المكتب في حال صغرهم لكي يستريحوا من تعبهم لا لأجل القراءة » .

١٠١ - مجلة **الطليعة** ، وثائق التربية ، القاهرة ، العدد ١١ ، ١٩٦٥ ، ص ١٥٤ .

١٠٢ - المقدسي ، **مرجع سابق** ، ص ٢٢٥ .

١٠٣ - الكليني ، **الكافي** ، ج - ١ ، (تصحيح على أكبر العقاري) ، طهران ، مكتبة الصدق ، ١٣٨١ هـ ، ص ص ٥ - ٦ .

١٠٤ - آدم متز ، **مرجع سابق** ، ص ١٤٤ .

١٠٥ - السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، ج - ٢ ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، القاهرة ، الحلبي ، ١٩٦٤ ، ص ٢٤٣ .

١٠٦ - كان ابن إياس المؤرخ المصري معاصراً لغزو الترك لمصر . قال عن السلطان سليم شاه لما دخل مصر : « لم يكن له نظام يعرف لا هو ولا وزراؤه ولا أمراؤه ولا عسكره ، بل كانوا همجاً لا يعرف الغلام من الأستاذ » .

ابن إياس ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، ج - ٥ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، طـ - ٢ ، ١٩٦١ ، ص ١٦٢ .

١٠٧ - محمد كرد علي ، **الإسلام والحضارة العربية** ، ج - ١ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طـ - ٣ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢٦ .

١٠٨ - ابن دقماق ، **كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار** ، ج - ٤ ، القاهرة ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ومصر المحمية ، ١٨٩٣ ، ص ٧٣ وما بعدها .

وانظر - أمين سامي ، **التعليم في مصر** ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩١٧ ، ص ص ٥ - ٦ .

١٠٩ - محمد كرد علي ، **مرجع سابق** ، ص ٣٢٦ .

١١٠ - **المرجع السابق** ، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥

قد تحدث في بعض البلاد الإسلامية انتعاشات ثقافية في عهود الاحتلال التركي وذلك بفضل حكام مستنيرين ، فإذا ما ذهبوا ذهب معهم الأمن والعلم .

يقول الشيخ حسين خوجة م / ١١٤٥ هـ :

« بعد أن تم الاحتلال التركي لتونس ... أصيبت الحركة العلمية بنكسة خطيرة إذ تفرق العلماء ، وهاجر الناس ، وخربت مراكز العلم ، وديست الكتب والمقدسات ، مما اضطر الولاة الأتراك لاستجلاب علماء لنشر الثقافة وإحياء العلوم . حتى وصفت البلاد في ذلك العهد بأنها خاوية من العلم ... » .

حسين خوجة ، **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان** ، (تحقيق وتقديم الطاهر المعموري) ، ليبيا - تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٣٨ .

111 - KOMBAR, (M), Lèvolution de L'enseignement primaire en Egypte 1970 - 1870. Approche socio - pédagagique de la profession d' instituteur, Paris, Sorbonne,1976, Thèse du doctorat d' Etat es lettres, PP. 262 - 263.

١١٢ - **المرجع السابق** .

١١٣ - وليام ل . ريفرز وآخرون ، **وسائل الإعلام والمجتمع الحديث** ، (مترجم) ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥٤ .

وانظر - جريدة **الراية** القطرية ، ١٧ / ٥ / ١٩٨٩ ، ص ١٢ .

١١٤ - هذا القول مستمد من حديث للرسول (ﷺ) أورده الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ، **مرجع سابق** ، ج - ٦ ، ص ١٨٤ ، ونصه : « ليس لابن آدم سوى ثلاث حق : بيت يكنه ، وطعام يقيم صلبه ، وثوب يستره » .